نحو إعادة الرافد العربي — الإيراني

تكمن اهمية ندوة العلاقات العربية — الايرانية التي تعقد في الدوحة حاليا في كونها خطوة في الاتجاه الصحيح نحو التقارب الفكري والسياسي وهي بذلك تمثل خطوة ايجابية توجب الاشادة بجامعة قطر ومركز دراسات الوحدة العربية — القائمون على هذا اللقاء — والاشادة كذلك بالمشاركين في هذا اللقاء من الضيوف العرب والايرانيين بالاضافة الى المشاركين من القطريين.

بقلم:
خالد بن فهد الخاطر

وهذا اللقاء هو الرابع — على الاقل — من نوعه الذي يقام في المنطقة خلال السنوات الثلاث الماضية ويتناول ايران كمحور اساسي او احد المحاور الاساسية. فالاول نظمه المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية «مركزه لندن ويصدر كتابه السنوي المشهور عن التوازن العسكري في العالم»، وعقد ذلك المؤتمر في ابو ظبي بعنوان «أمن الخليج»، ثم اقام مركز الدراسات في الامارات مؤتمره الاول والذي خصص للحديث عن ايران، كما عقدت ٣ لقاءات خارج منطقة الخليج في تركيا وايطاليا في اطار مشروع «الخليج عام ٢٠٠٠» واشرفت عليه احدى الجامعات الاميركية واخيرا تعقد الان ندوة العلاقات العربية — الايرانية في الدوحة.

والملاحظ هو كثافة هذه اللقاءات في تلك الفترة ولعل ذلك يعود الى المتغيرات التي مرت بها ايران، فهي عاشت في السنوات الست الماضية في احداث مليئة بالمتحولات: موت الامام خميني وصعود رفسنجاني غير من التضاريس السياسية داخل ايران واستحوذت تلك الفترة على اهتمام الباحثين بمستقبل ايران ما بعد الخميني ثم جاءت ازمة الخليج وما افرزته من متغيرات في التوازن العسكري والعلاقات السياسية بين دول المنطقة.

وتسارع عملية السلام، وهنا كانت ايضا عيون الساسة والباحثين تلاحق المواقف والتوجهات السياسية في ايران. اضف الى ذلك تفكك الامبراطورية السوفيتية وبروز دول جديدة وتيارات قومية على عتبة ايران مما غير الوضع الجيوسياسي في تلك المنطقة وفتح خيارات ومنافسات جديدة امام السياسة الايرانية. ثم لا ننسى مع كل ذلك المعارضة الاميركية الثابتة لتوجهات ايران السياسية والتي تبلورت ضمن مبدأ «الاحتواء المزدوج» وصاحب ذلك هجوم اعلامي كبير بلغ ذروته اوائل عام ١٩٩٣ وكانت الذخيرة الاعلامية الاساسية هي البرنامج العسكري لايران والبرنامج النووي.

لاشك ان لمثل هذه اللقاءات العديد من المميزات: فهي تتناول القضايا السياسية والفكرية باسلوب علمي اكاديمي بعيدا عن الاثارة والتشنج للمواقف السياسية وهي بذلك تمثل آراء فردية غير رسمية تسمح بقدر كبير من حرية التعبير النزيه وتناول القضايا الهامة من قبل المتخصصين في السياسة والاقتصاد والاعلان والتاريخ مما يسمح بالتعمق في المواضيع المطروحة. ولكن يبقى مع ذلك سؤال اساسي: ما هو الدور الذي تقوم به مثل هذه المؤتمرات؟

لاشك ان لها فائدة في دراسة الواقع الراهن سواء فيما يتعلق بالوضع السياسي والاقتصادي والعسكري الراهن داخل ايران او على صعيد العلاقات الخارجية. ولكن الحقيقة هي انها تظل مؤتمرات تقوم بها مراكز بحثية مختلفة لا يوجد بينها رابط كما ان المؤتمر الذي يعقده اي مركز يظل هدفه تناول موضوع ما من خلال لقاء واحد او عدد محدود من اللقاءات مما يجعل الجهود تتسم بالتقطع وعدم التكامل.

ان العلاقة التي تربط العرب وايران تفوق مسالة العلاقات السياسية فالمسالة حضارية في جوهرها. والتحدي الحقيقي هو بناء مشروع حضاري يهدف الى اعادة دور الرافد الايراني العربي الى عطائه المشترك، والذي سبق له المساهمة في نشاة الحضارة العربية الاسلامية. ان مثل هذه المهمة الضخمة تبدو بعيدة في ظل المرحلة الراهنة ولكن لابد من ايجاد نواة في هذا الاتجاه على الاقل. وهذه النواة قد تتمثل في انشاء مركز متخصص تحت اي مسمى يناسب مهمته. مثل هذا المركز يمكن ان يقوم بصياغة تصور لمثل هذا المشروع مع تحقيق مكاسب عملية في المدى القصير.

فوجود مركز دائم سيعطي استمرارية للعمل واللقاءات والاتصال والنشر التي لا تتحقق بالصورة المثلى عبر اللقاءات المتقطعة من اطراف مختلفة. فاستمرار الاتصالات عنصر اساسي في اي مشروع يهدف الى التقارب او التكامل كما يقول عالم السياسة كارل دويتج في نظرياته عن الاتصالات والتكامل.

ويمكن لمثل هذا المركز ان يكون قناة اتصال غير رسمية مما يتيح له دورا هاما بعيدا عن الاضواء وخصوصا في فترة الازمات والتوترات السياسية، كما يمكن ان يكون نقطة ارتكاز للمراكز الاخرى المهتمة بالشئون الايرانية سواء في مسالة التنسيق او الابحاث.

ولعل ضيوف قطر الكرام يغتنمون فرصة لقائهم في دراسة هذا الاقتراح المتواضع او طرح فكرة اخرى تهدف الى استمرار الجهود الرامية الى توثيق العلاقات العربية — الايرانية.